

سَجِين لَظِي

عنوان الكتاب : سَجِين لُظَى

المؤلف : ظلال حسن فتحي

الطبعة الأولى: 2024

الصنف : رواية

تصميم الغلاف : عذراء البياتي

التدقيق اللغوي : رفل عماد


التنسيق الداخلي: عذراء البياتي


Isbn: 978-9922-8661-4-7


---


الناشر: دار إيتانا للطباعة والنشر والتوزيع

للتواصل مع الدار

dar.etana 

07703664520 

aymnhamd633@gmail.com 

ديالى /بعقوبة 

---

لا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو الاسترجاع دون إذن خطي من أصحاب الحقوق.



# سَجِين لَظِي

تأليف

ظلال حسن فتحي

الطبعة الأولى

رواية



دار ايتانا  
للطباعة والنشر والتوزيع



## الإهداء

لكل من يريد أن يشتري لَدَعَة فاعطني وقتك واهديك  
دموع ساخنة وخدشة في القلب وأثر في اعماق العقل.



## سجين لظى

في بحر الظلام لا أخلد إلى النوم، إن الليل مهربي وأكون  
مستيقظاً فيه، وإن ما يحصل في النهار هو نومي، دستوري إن  
الليل للعيش، وإن الخروج عن قانوني أمرٌ أستحق العقاب عليه.  
هيا بنا لنحزن...

إن أفضل ما يتم صنعه هو روتين يومي جيد، كل ما يدور في  
الكون ثابتٌ جداً، هناك منطقةٌ سوداءً دوماً، العالم يجعل فيها  
مصابيح، وربما تتنوع الإضاءة فيها، لكن العتمة أكبر من ضياءِ  
مؤقت، لو وضعنا فيها مكاناً لدخول خيوط الشمس الذهبية،  
ستدخل الشمس وبيتلعها الظلام حتماً، هي سوداء عالم رمادي،  
لكنه مكللٌ بالياسمين، تجد فيه ذاتك واطمئنانك، تتشتت في  
النور وتستقر في العتمة.

- حقاً لم أقل لكم من أنا؟

أطلقوا على جسدي اسماً يُكتب على الأوراق الرسيمة (هشام)،  
ينادني الجميع به، أنا أقدم رحيل خيوط الشمس الذهبية وأقع  
في غرام الليل، في السجى أعيش.

أنا قدماي لم تتعدّ على الرجفة المسرعة، واعتدت الضغط على إبهامي بقوة لدرجة إصدار صوت العظام، اعتدت على أن أقطع شعرةً من رأسي في كل مرة أفكر بها بأمر لا يوجد له حلّ، هذه خرافاتي المزعجة ... أنا شابٌ وسيم هذا ما تقوله أمي، وهي أصدق منكم جميعاً، شاب عمري تسع وعشرين سنة، أفنيت سنيني أهوى ما لا يهواه قدري، أنا ما زلت عند السن الخامس، هذه السنوات أنا أتبرأ منها.

أحمل لحماً، عيناى واسعتان، ثغري صغير، لديّ خالّ في وجنتي اليسرى أتميز بها، طويل القامة، أسمر البشرة، عيناى البنيتان كانت ترى كل شيء بلونه الحقيقي، شعري مجعد أسود قان، أطلق شعر ذقني. منذ الصغر أحببت لعبتي وكنت أضعها بجانبى، سيارتي الصغيرة لونها أحمر فيها ضوءٌ متقلب الألوان، حينما تشاجر والدي مع والدتي رماها على الحائط وأصبحت



## سجين لظى

قطعاً صغيرة... لا بأس، بعد عدة سنوات ابتدأت أسرق  
السيجارة، وقال لي:

- لم ولن تنال الرضا مني عنك، أن رأيك تأخذ هذا السم.  
وكان بالوقت نفسه يعطي لأخي سيجارة! هنا أكد لي أنه يحبني  
أكثر؛ لأنه يريدني أن أموت بصحة جيدة، لا يعلم أن ما قالته  
الكاتبة ظلال ينطبق على حالتي في كتاب (وهم الحقيقة):  
"كان السبب لأول سيجارة عينيها..."

أما الآن بعد أن مرت سنون على نسيانها، في كل سيجارة  
تعلن النيران شعلة ذكراها! بعدها تنازلت عن الدراسة، هذا ما  
قاله والدي وشاهده الجميع وصدقته أنا، أما في الواقع كان  
العمل يتكأ عليّ؛ ولهذا تركتها مجبراً، أثناء العمل، كانت هناك  
فتاة صغيرة، تأتي إلى دكاننا تعطيني ضعف المبلغ وتأخذ شيئاً  
بسعرٍ أرخص، وتقول لي:

- اجمع لي ما تبقى .
- ولا أعلم سرها، سألتها:

## سَجِين لَظِي

- هل تسرقين؟

- كلا...

في يومٍ جاءت، عيناها الخضراوان، شعرها الحريري ينتهي بأول السير على كتفها، نحيفة جداً، ثغرها لو تبسم تشرق شمس الدنيا فيه، يتراوح عمرها بين الثامنة إلى التسعة أعوام، وأنا في سن الخامس عشر، ذات يوم وجدتُها مشربة بالحمرة، فبدأ الفضول يملأ رأسي، قلت لها بكل لطف:

- ما اسمك؟

قالت:

- وما شأنك!

قلت لها:

- ما هذه المبالغ؟

- أعدّها لي الآن .

أعدتها لها، ثم قالت:

- دعني أجعلك تقسم إنك لم تسرق منها .

ابتسمت وقلت لها:

- يا مجنونة، لو إنني أردت أن آخذها ما أعدتها لك . قالت:

- حسناً، شكراً ...

رحلت، ولكن هذه الفتاة ملاكٌ جميل تجعلني أبتسم، وربما

تتسارع نبضاتي، هذه خرافة التعلق؛ لأنني اعتدت مجيئها إليّ.

اختفت الملاك الصغير، أيعقل أن لديها أجنحة وغادرت

عالمنا؟! في صباح يوم الخميس لقد مرّ ثلاثة وثلاثون يوماً

على اختفائها، بعدها جاءت وقالت:

- أهلاً هشام.

وددت أن أحتضنها، وتسارع نبضي، فقلت لها بكل لهفة:

- أهلاً يا ...

وأخذني الصمت، كيف مرّت على مخيلتي كلمة حبيبي؟! ما

هذا الجنون!

قالت:

- يا... من! أنت لا تعرف اسمي إلى الآن؟

أجبتها:

- وهذا ما جعلني أصمت، أين كنتِ؟

- كنت أريدك أن تبحث عني.

- أنتِ مجنونة حقاً!

- أنا مرهقة؛ فإن منزلنا يبعد عن دكانكم.

جلست فقدمت لها قَدْحاً من الماء وارتوت به وأنا ارتويت

برؤيتها، صنعت يومي وعادت لي شيئاً .

قالت:

- هشام، ألم تفتقدني؟

قلت لها:

- في أول أيام، ثم بعدها تناسيتكِ، من أنتِ؟ ولماذا تأتين

إليّ؟ وما هذه التصرفات المجنونة!

قالت:

## سجين لظى

- أنا كنت أريد أن أصنع عيد زواج لوالدي ووالدتي، وهم يومياً يعطوني مبلغاً لأشتري حلوتي المفضلة، فأنا أشتري حلوى أقل ثمنًا، ولا أعلم أين أجمع باقي المبلغ؛ فكنت أحفظ به عندك، وحينما أخذت المبلغ صنعت لهم يومًا مليئًا بالحب والحنان، وخُتم الحب بضحكات .

قلت لها:

- أووه...! أنتِ رائعة.

قالت:

- أعلم، شكرًا لك على مساعدتك.

ورحلت...

التقينا مجددًا وبدأت الحياة تتسارع، ولكن هي مصرة أن لا تقول لي اسمها ومن أي حي يقرب دكاننا، دخلنا عالم الغيرة، وعالم الفضفضة، وعالم النظرات... وبدأنا في مشوار الحب، حقًا الحب طاقة، حينما تأتي أستطيع الذهاب إلى آخر بقاع

الأرض وأعود، ولا أراني متعباً، وحينما لا أراها لا أستطيع أن  
أنهض من السرير.

جاءت في الساعة الثامنة صباحاً وجلست أمام دكاني، ذهبت  
وإذ بها تتواجد قبل موعد افتتاح الأسواق، وهي في العادة تأتي  
في الجزء الثاني من اليوم، قلت لها:

- صباحك خير يا أميرتي .

احتضنتني بقوة وقالت:

- هشام، من أنا؟

- أنتِ طاقتي.

- لم أفهم!

- أنتِ أنا .

- هشام...

- حبيبتي، اهدئي.

- ما اسمي؟

- اسمك لا يعني لي شيئاً.
  - أنا المجهول .
  - أنتِ كلّ المعلوم.
  - أسمح لي بطلب؟
  - أنتِ تأمرين سيدتي.
  - أريد أن تكون لي للأبد، هل هذا ممكن؟
- ابتسمت وقلت لها:

- بالطبع، أنا لكِ، لن أجدني إلا عندكِ، لكن أنتِ ماذا تفعلين
- من الصباح هنا؟ وما بها عيناك؟
- لم أنم ليلة أمس، وحينما منحتك أربع ساعات من ساعات
- الليل الطويل، بكيت بعدها بكاءً شديداً، وارتديت ملابسني
- وأتيت إلى وطني لاجئةً فيه، عودتي إلى هذا المرجع .
- ملاكي من أين؟
- هشام أرجوك...
- ووضعت يداها على فمي، قلت لها :

- أريد أن أرى عينيكِ بوضوح.

- اصمت، ولا تنسَ إني أخجل.

- هههههههه، حقا أنتِ مجنونة .

نظرت إلى الأمام ودموعها تتساقط، فبدأ فؤادي ينزف لا دموعها، احتضنتها وغادرت بعدها ولم تلتفت لي ولم ألحق بها؛ لأنها لا تريدني أن أعرفها، ولكنني قلقٌ بشأنها. في اليوم الثاني بعد هذه الحادثة أتت في موعدها (الثالثة والنصف عصراً) بابتسامة غريبة، سألتها:

- ما بكِ؟

أجابت:

- إني منزعجة من أمرٍ ما ...

سردت لي وقمت بإيجاد الحل وأعطيتها مبلغاً من المال، ذهبت لشخصٍ ما وقمنا بتنفيذ كل الحلول، ثم شكرتني ومازحتني وذهبت، قبل أن تذهب قالت:



## سجين لظى

- هذا مصورٌ جميل، دعنا نلتقط صورةً، لكن لا تريها لأحد إلا بعد خمسة أعوام .
- تبسمت وقلت لها:
- جنونك أين سينتهي؟
- سينتهي لا تبال.
- طلبت منها أن تأخذ نسخة من الصورة، لكنها رفضت وأنا فهمت أنها تخشى أهلها. قالت:
- ستكون هذه الصورة وداعاً حزيناً...
- ثم قبّلت الصورة وقالت:
- تحبني؟ هذا سؤال المراهقات.
- أنت كبيرة... أووه .
- أتحبني؟
- أنت الوحيدة التي أريد العيش لأجلها، أنتِ السبب الذي جعلني أحب ذاتي لأنني أحبك، أحبك كثيراً...
- وأنا أتكلم رحلت .

في اليوم الذي يليه تجمعت لديّ الكلمات والأحداث،  
وكنت على الموعد أريد أن أخبرها ما حدث، لكنها لم تأتِ،  
أنت متأخرة جداً، قالت:

- ما بك؟ هيا تكلم.

قلت لها:

- لقد تأخرتِ، لماذا!

- كنت مع أمي، قل لي ما بك؟

- رأيتكِ وما بي إلا خيرٌ كعينيكِ...

بدأت أدندن بما يقوله كاظم: "إلا أنتِ" وهي تنظر إليّ وعيناها  
تذرف الدموع، حان وقت إغلاق الدكان ورحلنا، كان هذا آخر  
يوم أرى فيه ملاكي، كنت أضع رأسي على وسادتي، تساءلت:  
"يا ترى من هذه البنت؟! في أي حي تسكن؟! لماذا أحبها؟!  
لماذا تبكي كثيراً معي؟! أين عائلتها عنها طوال وقتها عندي؟!"

## سجين لظى

لكنني أبتسم عند ذكرها الذي هو بمثابة طبخة للروح وتهون الحياة.

إيجابيتي بين سلبية الظروف، استسلمت للقدر حينما جاءت دخلت حياتي دون أن أسمح لها، لكنها خرجت أيضاً دون أن أسمح لها، الفراق يأتي في الوقت الخطأ، يأتي عكس اتجاه السير، يأتي حينما أكون غير مستعد. مرّت أيام ولم تأتِ، لا أعرف ما اسمها، ووعدني إني لن أسير خلفها كي أجدها، قررت بعد مرور أسابيع وسنوات أخرج في الحي الذي خلف حيناً، وأجعل أي شخصٍ مار يرى صورتها التي التقطناها، سألت في الحي الأول والثاني والثالث ولا أحد يعرفها، ولم يرَها أحد قط، أيعقل إنها ملاكٌ حقاً! بدأت بالصراخ وسط الشارع ولم أشعر سوى بخيبة الفقدان دون أسباب، حاولت أن أذهب لدكاني وسواد الدنيا يعم في جميع أرجاء روحي، وعيناي لا ترى شيئاً غير اللون الرمادي، لكنها لم تأتِ، مرت السنة الثانية على فراقنا ولم أفقد الأمل هنالك كسر لا يُجبر.

استيقظت وعدت إلى السرير ارتميت وبعدها ذهبت كي  
أرتشف قهوة الصباح... لماذا قهوة الصباح لا تجمعنا؟! أيعقل  
إنها تنافس قهوتي، وتكون سيدة مزاجي؟! !

ذهبت إلى الدكان وجاء طفلٌ صغيرٌ جميل يريد حلوى  
أعطيته، وقال:

- خذ هذا المال وضعه عندك .

قلت له:

- من أرسلك إلى هنا؟

- أمي...!

خرجت مسرعاً وإذ بملاكي تقف أمام دكاني، هرولت نحوها،  
خطواتي توقفت وفؤادي تسارعت نبضاته، دموعي انهمرت،

قلت لها بكل لهفة:

- أين كنتِ؟

قالت:

## سجين لظى

- تزوجت وجعلت ابني يفعل ماكنت أفعله؛ كي أعلم أنك نسيت أم ما زلت تذكرني.

قلت لها:

- هل أنت بخير؟ لماذا رحلت؟ من أنت؟ ما اسمك؟ لماذا تزوجت أما زالت صغيرة؟ أما زلت تحبيني؟

قالت:

- هشام، إهدأ أنا لم أحبك من الأساس وأحب ابن جيرانني، لكنك شخصٌ لطيف صادق، كنت أبكي حينما أشتاق لحبيبي، ونكون في ركافة ومشاجرات، أنا لم أمنحك الحب مطلقاً، والآن حبيبي زوجي، لم أقل لك أنا اسمي مريم هذه المنطقة لا تعرفني، لكنني أعرفها، كنا من دين المسيح، وأبي يخشى علينا أن نخرج، فأنا كنت أهرب عندك كي أرى حبيبي، وتأخرت ذات يوم عليك كنت معه... أنت كيف حالك؟

قلت لها:

- بخير .

رحلت... أي خيبة يجب الآن أن أحزن عليها؟! وهي فتاة ترى  
الواقع بوضوح، وكانت دومًا تقول لي بعد غيابي لن تنساني،  
سأعود إلى ذاكرتك في لحظاتك السعيدة ويفسدها غيابي،  
كانت تدرك ما سيحصل، هي تعلم أن الرجل محال ينسى من  
سكنت فؤاده، أن الأفكار تأتي عكس المشاعر، تطفئنا المشاعر  
ونتوهج بالأفكار .

عدت إلى المنزل وأغلقت دكاني إلى الأبد، تعفنت البضاعة  
وأنا غير مهتم؛ أنا شخص تخلت عنه أحلامه، أصبحت أسير  
على ما يرسمه القدر لي وأنا صامت خالٍ من الأمنيات  
والأحلام، أصبحت لا أطيق الكلام والنصائح أمام الخسارات  
الكبيرة، شيءٌ من العمر من المشاعر قد بتر الفرح، أصبحت  
أستجمع قوتي كي ينتهي اليوم وأعود إلى حريتي في حزني إلى  
الليل دون ملامة، دون كلام، دون أشخاص، دون نصائح...

## سجين لظى

بدأت أسهر الليالي ولا أستيقظ في النهار، هذا ما جعلني شخصاً أفضل.

الليل وحشة، كن بجانبني. أول ما طرأ في مخيلتي أن لا يوجد شيء يمنع شخصاً من أن يرى من يحب إلا الموت، ولكنها لم تكن... هذا ما كنت أردده، لكن بعد أن أدركت أن ما يدور في مخيلتي لا يشبه ما يتحدث عنه الآخرون، أن ما يفعله لا يطابق ما يقولوه، إنهم في وهم لأنفسهم، هذه التفاهات التي أراها والحمقى في كل مكان. بدأ أبي يجلب لي السيارة ويحاول أن يضعها في فمي، كانت أمي الشخص الوحيد الذي أحاوره؛ هي تشبه ما أفكر به، أنام في الوقت الذي يظهر الناس فيه، وأستيقظ حيث ما أجدني، حيث الليل السماء صافية والهواء بارد والهدوء سيد الوقت.

استيقظت هذه الليلة بعد نوم طال سبع عشرة ساعة ورأسني مصدع، الصداع ريفيقي إنه صاحب علاقة قوية مع الحزن، الاثنان مصدر ألمٍ مريح، استيقظت وجلست على الأرض متكأً

على السرير، أنا لا أحب النوم على حديد أو خشب، جلست هل أنا في حلم؟! لِمَ لا أستطيع أن أتقبل كل ما حدث لي؟! مرت نصف ساعة، وكنت أدخن السيجارة واحده تلو الأخرى، تذكرت كانت ملاكي تقول لي: "استمتع بنا". يؤلمك الآن أنا شخصٌ ثري بالاستمتاع، نهضت ووضعت يدي على السرير اتكى عليه، قمت وكان عمري سبعون سنة، ذهبت إلى الحمام لم أغمض عيني تطاير الماء على وجهي، وكان بارداً جداً، وهي إحدى ليالي ديسمبر، ذهبت إلى المطبخ وجسدي النحيل متعب أرتشف القهوة، كلا... كلا، يا هشام خذ ما يوجد من طعام. لم أجد شيئاً في البراد سوى قطعة لحم صغيرة مشوية، وضعتها في قطعة خبز وأنا مسرع، أنهيت طعامي وأنا أتقدم خطوة إلى القهوة، وجدت أن القهوة قد نفدت، إن رائحة القهوة تعم أرجاء المنزل وهي تغلي تنشر الاطمئنان، يسري في رأسي وهي غيورة لا تحب أن أبتعد عنها، والآن نفدت، أف... يا للحظ! وضعت



## سجين لظى

الشاي على النار وعدت إلى جانب السرير لا أفعل شيئاً سوى الصمت، بدأت أأكل من صمتي، أي شيء أمامي أطيل النظر فيه، رأيت الساعة وعقاربها وهي الوحيدة التي تصدر صوتاً، أدركت أن عليّ أن أذهب وأضع الشاي لي، ذهبت إلى المطبخ وعدت بشاي يشاركني ليلتي الهادئة التي تضج بالأفكار، بعد مرور عدة ساعات... منحت الليل مني كثيراً ولم يأخذني النوم رغداً! مرّت الليالي عليّ بهذا الروتين الممتع الخالي من الأذى، صراعاتي بدأت تهدأ لم أعد أهرب مني، إن أشد عقاباً يقوم به الإنسان هو أن يهرب من ذاته بأي محيطٍ حوله .

أنا لم أجرم بذاتي أنا تصالحت معي، تقبلت اختلاف ذوقي أصبحت لا أحب الحديث والمنطق والواقع، حياتي وإن كل شيء يجب أن يسير بالاتجاه الصحيح. أبي وأمي وأختي وأخي هم عائلتي، أختي صغيرة لا تحمل أي صفة للكره، كأنها تحمل ملامحها، ولكن الأعمار لا تتشابه، كانت أختي شقراء، عيناها خضراوان تحبني، عمرها ثلاث سنوات لا تستطيع لفظ جميع

الكلمات بوضوح، لكنها تحمل ذكاء الكبار؛ كون والدتي تتحدث معها منذ أول يوم في ولادتها، والطفل في هذا السن يبدأ بالاستيعاب، أمي كانت تحدثها وكأنها كبيرة، فأصبحت ذات ذكاء عالٍ، أمي حكيمة جداً، تضعها أثناء أعمالها المنزلية على التلفاز لنصف ساعة، بعدها تجعلها تبعر الألباب والمنزل، نقول لها بغضب:

- ماذا فعلت؟

تقول:

- إن التوحد يصيب الأطفال .

- يا أمي، التوحد ليس مكتسباً.

تقول أمي:

- مكتسب، وأنا أريدها أن تبعر المنزل، أليس المنزل لنا؟

دعوها تتمتع .

## سجين لظى

وكانت على حق كبير، كانت أُمي تمنع أخي من الألفاظ السيئة في المنزل، وتعادىها جارتنا وتقول لها:

من جدار المنزل تبدأ الأخلاق والسيطرة على الأطفال.

- أخي كان يشبه والدي جداً أسمر البشرة، وشعره مجعد، عمره ثمان سنوات يحمل كبرياء الأطفال، ودوماً يرى نفسه أنه سبايدرمان العائلة (الرجل العنكبوت).

أبي شخصٌ طموح يعمل تاجراً في الأقمشة، ويذهب إلى عدة مناطق، بعض الأحيان يأخذ أهلي معه وأنا أقيم طقوسي معي، إن ما عجز أهلي عنه هو تغيير روتيني اليومي، وأنا لا أرغب حتى أصابهم اليأس وبدأوا يقصدون قراري؛ فإن عائلتي تؤمن بالحرية النفسية، أو لربما أنا ذكر ونحن في بلد يميز بين الذكر والأنثى، يحق للذكر أو الرجل الحزن وأياً كانت مراسيم الألم وأسبابه هو على حق، والأنثى في إطار محدود جداً، والأسباب يجب أن تكون معلومة، مجتمعٌ قاسٍ، والرجل أن كان يشعر هذا ضعيف شخصية، والمرأة حينما قالوا لها: ما الثقافة أو الحرية

أو القوة، تخلت عن بعض أمور الدين، أصبحت رجلاً بجسد امرأة، لكن البعض من شعبنا هكذا، هنالك فئات رائعة نخب من الإبداع والحفاظ على الدين والعادات والتقاليد العراقية الأصيلة من الزي إلى السلوك... السلوك هو أمرٌ ذو صلة كبيرة في التفكير، وهذه الرابطة أصلها دين، ثم وعي ثم إدراك، ثم واقع ثم ما يدعى مشاعر. أنا كنت أقدس المشاعر، لكن بعد أن تذوقت مرارة الأسعار الغالية ورابطة الثقافة في الإتيكيت مع سيارة ورابطة الزواج في أفخم الأمور، أدركت أن الواقع يقدر المادة، ويطرا السلام على المشاعر! أما الأخلاق والضمير في رف الكتب الأخير الذي يكسوه الغبار. هذا مجتمعنا في النهار وتود أمي أن أخرج، هههه.. هل أصبحت مجنوناً؟!

رحل والدي إلى إحدى المحافظات وقال :

- انتبه إلى المنزل، وإلى القط الذي يحبه أخوك فهو يحرس المنزل أكثر منك، هههه...

قلت:

- لا، لماذا؟

قال:

- سأخذ الجميع معي، ألن تأتي؟

- من المستحيلات .

وضع يديه على كتفي مرتين، وقال:

- انتبه جيداً لنفسك .

ذهب للنوم وحينما استيقظت في الليل اتصلت بهم، أجابني

أمي قلت لها :

- ألم تنامي؟

قالت:

- لا، بقيت مستيقظة كي تستيقظ، ولا تقلق قطعت لك لحمًا

في المطبخ، وجلب لك والدك القهوة وسجائر.

- أحبك يا أمي .

- وأنا أريدك بخير يا حبيب أمك .

قلت لها:

- ماذا لو تحكمن نصف البلد؟

قالت:

- كنت سأظلم نصفاً من عدم الدلال، وأفرط بالدلال للنصف

الآخر.

- لماذا؟

- الوقت شرف، يجب أن نحافظ عليه، وأنا حينما أحكم

يجب أن أنظم وقتي؛ كي أستطيع تلبية طلبات الجميع.

- الحمد لله إنك لم تحكمي شيئاً؛ لأنك حنونة، وبكذبة

واحدة يستطيعون أن يأخذوا أموالك وقلبك، يا حظ زوجك

فيك.

- هههههه... يا من الحديث معه نعمة!

## سجين لظى

- أمي، أغلقتي الهاتف، يكفي إنكم بخير، وقبلي لي صغيرتنا نور واصفعي أخي حسام بقوة، وألقي الحب على أبي، تأخر الوقت عليك يا حبيبتي.

- حسناً، انتبه جيداً لنفسك .

أغلقتنا الهاتف.

آه...آه، كم أتمنى أن أكون في مدينة مالطا هذه المدينة الصامتة! جعلت الهاتف يخرج لي كاظم الساهر وهو يدندن المحكمة وترده أسماء المنور، وأنا صامت أبتسم بين قولٍ لهم وآخر حتى طُرق الباب، أيعقل إنها الرابعة فجرًا!

طُرق بقوة عدت إلى جانب السرير، وقلت: "من يأتي هذا

الوقت؟ أفتح الباب أم أنه شيءٌ مضر؟!"

حاولت العودة إلى النوم ولم أستطع؛ فهناك شيءٌ ما يقلقني لماذا طُرق الباب في هذه الساعة، والآن بالتحديد بينما لا أحد غيري في البيت؟! بعدها اتصل بي رقمٌ غريب، يا للهول ما الذي يحدث؟! بدأ القلق يأخذني، الباب طُرق منذ دقائق، أهذا

أمرٌ اعتيادي؟! كل ما يجب أن يحصل فليحصل، الأمر هذه المرة لن يعود لشيء، ولكن لكل حدث سبباً، هل أتصل بوالدي؟ لا؛ فأبي رجلٌ سريع الغضب، وإذا كانت هنالك مشكلة، لها آلاف الحلول، ولكن حينما يغضب الشخص حله الوحيد هو الندم.

ما بك يا هشام، أنت مجنون؟ تتصل في الرابعة فجراً! أربكني موضوع هذه الأحداث؛ لأنها حدثت عندما ذهبت عائلتي، ربما الأمر مستهدفٌ لي، كم أتحسر على ملاكي آه... لو إنها معي! كم آه حسرة على الحبيب تأخذ معها سنين، شيءٌ ما قد سلب من الروح، مهما كنت في سعادة يعود إلى فراغ أي فراغ، إن الحنين والخيبة عانقوا بعضهم بشدة وإن رأيتها وهذا محال سوف تهب نيران الندم، لا شيء سوى إشعار رسالة رن هاتفي، جعل نبضات فؤادي تتسارع، أصبح وكأنه سيخرج من جسدي، وأنا أشارك أفكاره مع الرسالة الواردة...



"مرحباً هشام."

يا لها من رسالة فيها اسمي الصريح!

"الأسبوع الماضي إلى قبل لحظات وأنت شخصٌ متبدل

المشاعر، وإن أشد عقاباً للإنسان هو استئصال القلب وإبقاء

الجسد قيد المقاومة، وأنت كنت جسداً بلا روح حتى قلبك  
يضخ الدم فقط، لماذا تسهر؟! أريد إنقاذك من جحيم الليل،  
استمع إليّ أنا مجهول، وربما لديك معلوم، عش حياتك في  
النهار، لا تكن أحد ضحايا الليل؛ فإن سجن الليل جريمة نهايتها  
إعدام أحلامك وطموحك، أنت سوف تسخر من كلامي، لكن  
حتمًا هذه هي الحقيقة، نم باطمئنان، أنا لا أحبك لكن أخشى  
عليك، وإن هذه الرسالة؛ لكي لا يبقى بداخلي ذنبٌ تجاهك

سوف أذهب إلى زوجي وأطفالي، الوداع..."

أريد أن أسرد شوقي لها، ما هذا العطف والشفقة؟!!

اللعنة كيف تعلم ماذا يوجد داخلي؟! كيف تأتي تحرك

مشاعري وترحل؟! أغار عليها أم أحزن على خذلاني؟! أم... أم

!...

## سجين لظى

طق طق طق... طُرق الباب بقوة، تحركت أقدامي بسرعة نحو

الباب والعتمة في كل مكان، لماذا لا أفتح مصباح الهاتف؟!

وأنا أتسارع إلى الباب أقول هل يعقل هي من طرقت الباب!

لا عليكم، إن تفكير العاشق جنون

أحلامه خيال وإن السراب يراه بحرًا،

هذه أوهام...

فتحت الباب، كان جاري، قلت:

- أهلاً سلام.

- أهلاً هشام، ماذا حدث لقطتكم يا هشام؟ أرجوك لترى ما

بها، بسببها لا نستطيع النوم، اتصلت بك ولم تجب وهي لم

تكف عن العبث بمنزلنا.

- ههههههه يا رجل، جعلتني أخوض الماضي وأرى المستقبل،

أصابني القلق وبدأت ألوم أبي، أعدّها إليّ.

أغلقت الباب وأدخلت القطة وذهبت للنوم، ولكن النوم في الشمال وأنا في الجنوب، حتى النوم الذي هو مهربي بدأ يهرب مني اعتدت أن أمضي ليلةً بعد ليلة هكذا.

أرسل لي أبي إن سفره سوف يستمر لمدة أشهر غير معلوم موعد عودتهم، وإن عمي سوف يعمل في دكانه، عمي الذي يكبرني بعشر أعوام، كان صديقي المفضل واسمه عبدالله، كان يشبه والدي كثيراً وتقرب مني، لكنه حينما جلس معي أنا وخالد، خالد هو عزيز الروح رفيق الخييات والأفراح والأحزان، كان الشاهد الوحيد على حبي ولهفتي من ملاكي إلا أنهما أصبحا رفقاء وأنا من خرجت من هذه الدائرة وأصبحت شخصاً سطحي وذا ومعرفة بعيدة، وإن جلوسي معهم يسبب عدم الارتياح لهم ويبدأ أحدهم بالأمر يخرج والآخر يتبعه، أنا حملت ما تبقى من كرامتي معهم وتركت لهم ما هم عليه.

## سجين لظى

لم أتقبل أيًا من الخسارات، ولكن عند خروجي لا أحد منهم  
افتقدني، هذا هو الألم الحقيقي، إن كوكبي خالٍ، وإن الوحدة  
تحيط عالمي من جميع الجوانب، ربما الخطأ مني أو أنني غير  
محبوب أو... أو... أو ربما أنا جيد وهم ليسوا كذلك، وإن الله  
شاء يبعدهم عني لا بأس. بعد شهر ونصف وأنا في كل يوم  
أعيش أجواء تهدأ بها روحي، وإن كل ما أسعى له هو اطمئنان  
ذاتي، بدأت أستعيد نفسي، لا بأس... إنني أحبها وأحب أن أراها  
سعيدة ولا شيء بيننا اجتماعيًا ودينياً يصلح لنكون معًا. إن  
خالد كان قدرًا ودرسًا جميلًا، إن من يرحل دون أسباب له  
أسباب، كنت أتمنى أمام خسارات العمر أن أجد ربحًا واحدًا.  
بدأت أتأقلم وأشعر بالارتياح، أسهر ومعني بعض الأطعمة  
والقهوة المرة والسيجارة، ربما سكر قهوتي كان حديث أمي، أما  
الآن حتى أمي لم تعد هنا، لا أعلم كيف أصارح ذاتي أن الطعام  
نفذ ويجب عليّ أن أذهب إلى السوق، يا للهول ما هذه

المصيبة! بدأت أتفقد كل المطبخ ولا يوجد شيء؛ فأنا منذ رحيل عائلتي لم أجلب شيئاً.

على أحد مواقع التواصل الإلكترونية، كنت أبوح بحزني في شعرٍ أو ربما اقتباسات، كان كافكا صادق المشاعر مع ميلينا، وغسان تجاه غادة وهذا ما أضعه، كانت لدي صديقة من الطراز السطحي تبادلني رأيها، وأيضاً تحب السهر، لكن أنا عادةً لا أبوح بشيء وهي تبادر بالسؤال عني، لم أتعلق بما تقوله، لكن في بعض النقاشات لديها حكمة أو رأي آخر وخرافات، إن كل شيء سيصبح على ما يرام تؤمن بهذا، وهذا أمرٌ يثير ازعاجي.

أنا شيء هدوئي يزعجها، لعنة جنوني ثمنها هذا الهدوء .

نشرت اقتباساً أقول فيه :

إن التشافي لا يشبه سوى إدراكي للحقيقة وتجردي من الأوهام، وأن أرى كل شيء كما هو، إن الحقيقة هي أن أترك الوعي عند مذهب، وأن أجعله في جميع المذاهب نحو أمور الحياة.

سألته: ما هذا؟ لم أفهم لأول مرة ما تقوم بنشره !

في كل مرة أجادلها أو أوضح لها. قبل عدة أيام قالت لي :

- هل أنت متواجد؟

أجبتها:

- نعم، تفضلي.

قالت:

- لم تردني يوماً، لكنك لم تسأل عني .

قلت لها:

- أرجوكِ قولي ما لديكِ، أنا أستمع لكِ .

كانت تقول لي:

- ما هو الحب؟

أجبتها:

- الحب طاقة، وأنا الآن نفدت طاقتي، كنت مليئاً بالطاقة.

قالت:

- إذا انتهت العلاقة أين يرحل الحب؟

أجبتها:

- يتجمد، تزول العلاقة، والحب يبقى، وينفجر في أغنية أو ذكرى أو موقف لا يشبه الماضي، لكن يجب أن تخرج هذه المشاعر المكبوتة .

تأملت قليلاً وقالت :

- أين؟

هذه المرة لم أجبها، باتت روحي لا تبالي، وإذا رحلت هل ستجري الرياح عكس مسارها؟ أم ستشرق الشمس من مغربها! لا بالله، لن تؤثر، العزيز لدي لا يستبدل، من يأخذ مكانة جديدة أيضاً يمكنه أن يرحل، اعتدت على اللامبالاة.

حان الصباح ولم أنم، لكن هذا اليوم سأذهب إلى السوق أجلب أبسط الطعام، وكمية تكفيني لأكثر مدة؛ كي لا أخرج وأرى العالم والأشخاص .



## سجين لظى

إنها الساعة الثامنة صباحاً بدأ النعاس يغلب عليّ وعيناي لا تريد شيئاً سوى أن أغلقها، الأحلام أفضل من الواقع، لكن حقاً المطبخ لا يوجد فيه شيء للطعام سأذهب، ذهبت إلى الحمام وغسلت وجهي وذهبت إلى غرفة والدي، كان قد ترك لي مبلغاً من المال أخذت منه، وغيّرت ملابسني وجلست على السرير لا يوجد داخلي طاقة، كل شيء في داخلي نفذ، لماذا لا يوجد هنالك خدمة توصيل للطعام غير الأكلات السريعة؟! لا أطلبها؛ لأنني لا أحب أن يتحدث معي أحد، أغلقت الأبواب جيداً ووضعت المفتاح في جيبي وذهبت إلى السوق، كأني أول مرة أرى الشمس، في باب منزل جارنا جارتنا قالت:

- يا أهلاً هشام، كنت أظنك سافرت مع والدتك.

قلت لها:

- كلا يا خالتي .

- إذن كيف حالك؟ تحتاج إلى شيء؟

- كلا، شكراً لكِ.

- إذن يا هشام...

"يا إلهي...! لم ولن تكف اليوم عني، ولكن يا هشام هذا حرص

أيضاً اصمت ..."

- نعم يا خالة، تفضلي.

قالت:

- هل تحمل لي هذه الأكياس؟ إنها ثقيلة جداً .

- بكل سرور.

أثناء السير كنت ألتزم الصمت، هي امرأة ترتدي العباءة العراقية

الأصيلة، قطعة من القماش الأسود تغطي نصف رأسها وجميع

أجزاء جسدها الذي يظهر منها فقط قدمها، وترتدي جوارباً

سوداء وحذاءً أسود أيضاً، تحتها حجاب أسود، ويدها تحمل

تجاعيد الألم والسنين، وفي وجهها تجاعيد تحمل الكثير من

الكلام، ودفعت بين خط وآخر مصاعب وهموم، ليس هذا

بسبب تقدم السن؛ بل لأنها تألمت، في أي دولة أخرى تجد هذا

## سجين لظى

العمر نفسه، ولكنها امرأة كأنها بعمرها الزهري تظنها في الخامسة والعشرين من عمرها بينما هي في سن الخامس والأربعين أو الخمسين، نساء العراق يبذلن مجهوداً كبيراً في ملء تفاصيل الحياة يعطون أكثر مما يأخذون.

قالت:

- هشام، أتعلم لماذا قلت لك أحمل الأكياس عني؟ انظر إلى أناملي يوجد فيها خطأ أحمر واضح من أثر الكيس الثقيل، قبل عدة أعوام كان لا يؤلمني، ولكن الآن لا أستطيع .

ثم بدأت تتنهد، قلت لها:

- لا بأس أنا أحملها وبكل سرور، أنا بمثابة ولدك، لا تخجلي خالة.

قالت:

- ولدي... ههههه

ضحكتها كانت بنبرة حزينة، قلت لها:

- حفظه الله لك.

- اللهم آمين، ويحفظك الله لأهلك... عندما كنت صغيراً وفي هذا الشارع كاد شخصٌ ما أن يدعسك؛ لأنه كان يقود سيارته مسرعاً وأنقذك والدك.

قلت بداخلي: "اللعنة على هذا الموقف! لماذا لم يترك أبي السيارة تدعسني ولا أتعذب كل ليلة؟!"

تبسمت وسرنا، قالت:

- سوف أجعلك تتأخر على مشوارك.

- كلا، ليس لدي أي التزامات.

- هذه الأغراض أريد أن أعطيها لأختي وبيتها يبعد مسافة.

- لا بأس ...

أثناء سيرنا رأيتها تبكي فقط دموع تنهمر، قلت لها :

- خالة، لماذا صمتِ؟

- لا شيء يا ولدي.

- أنتِ تبكين؟

- أجل.

توقفنا وقلت لها:

- ما بك؟

- أشعرتني كأنك ولدي، وأنا مشتاقة له، أنت تحمل الأخلاق

والهدوء.

- أنا ممتن لكلامك الجميل خالة .

في الحقيقة أنا لم أقل لها، لكن أي مدح لا يؤثر بداخلي، لكن

صفات حميدة أفضل من اللاشيء، بالتأكيد لم أكن مؤذياً؛

لأنني لم أتواجد، قلت لها:

- يا خالة، ماذا بك؟

قالت:

- دعنا نسير ونسرد ما يوجد في داخلي؛ لأن الطريق طويل .

أعطيتها منديلاً جففت دموعها وبدأنا نسير، سألتها:

- هل أنت الآن بخير؟

قالت:

أجل يا ولدي، أنا لذيّ طفلاً جميل كأنه البدر، وزوجي شخصٌ يحب ذاته فوق المستوى الطبيعي، ينزعج من طفله جداً ويبدأ بالضرب إذا أصدر صوت صراخ، أو انزعج من تصرفٍ له، جعله طفلاً مظلوماً محروماً من حنان والده، كنت له الحضن الدافئ، كنت أصد أباه عن الضرب، أشعر بأني السبب الأكبر لتعاسة ولدي؛ لأنني أخطأت باختيار أب لا يناسب مسؤولية الأولاد، وأيضاً أخته تسكن في منزلنا، كانت تفرض قوانينها، تأمرني بعدم زيارة أهلي إلا عندما تأتي صديقاتها إلى منزلنا، وهو يقول لها حاضر... في ذات ليلة مظلمة قلت له:

- أريد أن أرى أمي؛ لأن حالتها الصحية غير جيدة.

قال:

- لا مانع لديّ، اذهبي

- ارتديت ملابسك للخروج بسرعة .

عند باب المنزل، اعترضتني أخته قائلة :

- لن تذهبي، لدينا أعمال داخل المنزل .

قلت لها:

- اتركيها الآن سأقوم بها عند عودتي؛ أمي ليست بخير .

قالت:

- وأنا لا أريد أن تذهبي !

ارتفع صوتها وهي تقول:

- أخي...! لدينا أعمال.

قال بصوتٍ فيه نبرة ظلم:

- لا تذهبي .

جلست أبكي وأعمل، قلت له:

- لأول مرة أجادلك أمي، تقول لي كوني زوجة طيبة! وأنت

تعلم أنني لم أر أمي منذ أشهر اشتقت لها، وأختي أخبرتني إنها

ليست بخير .

شيءٌ ما بداخلي جعلني أتصرف بجنون، مشيت نحو الباب كي

أهرب، وجدتها تغلقه، أف... كيف حال أمي؟! أنا من يجب

عليه أن يكون تحت قدميها، صامته بعد صراع وصراخ وقلبي  
يحترق ألماً، قالت أخته بعد ساعة:

- اتركي ما بيدكِ واذهبي .

كأنني ملكت العالم ذهبت مسرعة وأنا أحمل ولدي على كتفي؛  
لأنه كان طفلاً وسيره بطيء، وجدت أشخاصاً أكثر مجتمعين أمام  
منزلنا، لقد توفت أمي وهي كانت تعلم؛ ولذلك سمحت لي  
بالذهاب، بدأت بالبكاء والصراخ :

- لماذا تركتيني يا أمي !

أصواتٌ حولي لا أسمعها، تقول لي هذا حرام، هذا اعتراض  
لقدر الله، أين إيمانك...! أنا فقدت عقلي لماذا يا أمي انقطعت  
رحمتي أمي، لقد بترتِ جناحي برحيلك، أمي لم أسمع كلماتكِ  
الأخيرة، حسبي الله ونعم الوكيل، أمي لم أقبلكِ وأنتِ على قيد  
الحياة، أمي كيف سأحلق وأطير لن أستمع لدعائكِ ونصائحكِ،



## سجين لظى

أمي ظلموني بهذا الأمر، أمي أرجوك أريدك، أمي من لي غيرك  
الآن؟! حتى فقدت الوعي .

أتت في اليوم الثالث أخت زوجي تقول :

- من كانت تحميك ذهبت، ههههه كانت فرعوناً في منزلنا.  
قلت لها:

- الله معي ...

وهي أيضاً والدتها متوفية، وكنت لا أمدح أمي أمامها كي لا  
تتألم، بعد رجوعي إلى المنزل وجدت ورقة فيها إجراءات  
طلاقي، وزوجي يرسل لي أنني أهملته لمدة أسبوع، وإن ابني  
سيكون عندي؛ لأنه تزوج ورحل لدولة أخرى.

خرجت قلت لها:

- هذه مزحة؟

قالت:

- كلا

ذهبت لمنزل أمي أنا وولدي، بدأت أعمل في الخياطة والحياكة، كانت أختي المخطوبة قد تزوجت بمدينة بعيدة عني، وزوجة أخي تنزعج من تصرفات ولدي، ويخرجون أطفال أخي دون أن يأخذوا ولدي يأتون بأطيب أنواع الطعام وولدي ينظر فقط، هذه حياتهم وهم أحرار جعلهم الله بسعادة دائمة، كنت أحزن وأبكي؛ لأنني لا أستطيع أن أصنع السعادة له .

بعد مرور السنوات تزوج ولدي، وخرجنا بمنزل معاً وزوجته بدأت تقول له أن يذهب لأبيه لأنه يمتلك أموالاً، وهو أبوك وسندك. وقال لي:

- أمي، يحق لي زيارة أبي؟

وأبوه تركه طفلاً وعاد له رجلاً! قلت له:

- نعم، بالتأكيد...

كي لا أجيبه بخذلان؛ لم أقل له لا وهو يحبني جداً .

## سجين لظى

كان أبوه يقول له أنا تركت والدتك لأنها لا تحب الخير،  
وزوجته وأبوه كانوا يجعلونه يتضايق مني، وأنا من صنعت من  
سنيبي حياةً له قام بطردي في إحدى الليالي لأنه كان عيد  
زواجهم، وأنا سأجعل حفلتهم غير ملائمة أمام أصحابهم، هذا  
الذي كنت أظنه سنداً وعضواً! ودعا أباه وزوجته .

عادت أختي وجعلت لي منزلاً صغيراً أسكن فيه، وكثير من  
الأشخاص يقدمون لي الصدقات، وأنا الآن ذاهبة لأعطي أختي  
بعض الملابس التي أستطيع حياكتها كي تضعها بدكان ولدها  
لعلي أحصل على بعض الأرباح أشترى بها طعام ودواء، أختي  
العون الوحيد بعد الله لي، لكنها مريضة أيضاً .

أنا أعتذر يا هشام؛ لأنني سردت لك معاناتي، لكنني حقاً  
اشتقت لولدي وأنت أعطيتني هذا الشعور .

قلت لها:

- أنا آسف؛ لأنني منحتك شعوراً مؤلماً، وأي شيء تحتاجين  
له فمنزلي قريب فقط قولي لي سأكون عندك يا أمي .

ذهبتُ وهي دخلت إلى منزل أختها. يا لها من امرأة قوية  
تحملت ظلم وخيانة وغدر! كيف لقلب الإنسان أن يتحطم بهذه  
الطريقة؟! ما هو شعورها بالوحدة؟! ما هو شعورها وهي تتألم  
كل يوم لأنها لم ترَ لحظات أمها الأخيرة؟! ما شعورها حينما  
كانت تربي ابنها؟! أي خذلان واجهت وهي ترى أحلامها  
وسنواتها تنهار وهي تفنيها لابنها كي يصبح رجلًا يسندها وهو  
كسرهما؟! كيف لها أن تتحمل مسؤولية هذا الحزن الكبير؟!

أعطيها يا الله الصبر وعدم الشعور اللهم آمين، عدم الشعور  
هو عقاب، لكنه أفضل من الشعور، موت على قيد الحياة  
مقاومة مؤلمة رغم أنها مقاومة، هذا لمشروع قوة حتى وإن لم  
أستطع نسيانك، يجب أن تكون سعادة، وحينما تُسلب منا  
للأبد نستسلم أمام القدر.

جعلت السير من الشارع الآخر؛ كي أذهب من هذا المنعطف  
إلى السوق وأذهب إلى النوم، أريد أن ينقذني النوم من هذه

## سجين لظى

البشاعة، حتى وأنا أرى إشارة المرور تحولت حمراء في أحد الشوارع وبدأ ثلاثة أطفال بالركض الأول يرتدي ملابساً رثة جداً، والثاني ملابسه ممزقة والأخير أيضاً ملابسه رثة جداً... واحد يحمل علبة فيها ماء يحاول أن يمسح السيارات ولا أحد يعطيه شيئاً إلا القليل، والآخري يبيع ورد، والأخير ماء وحلوى. أليست هذه جريمة الأهل؟ كيف أجعل الطفل يولد وهو لا أستطيع أن أصنع له مستقبلاً ميسوراً يجعله يلعب مع الأولاد بأجمل الألعاب، يذهب رحلات مع المدرسة يحمل حلوى؟! لماذا أجعل عدد الأطفال كثيراً وأنا لا أستطيع إسعادهم؟! كيف يمارسون حياة الكبار وهم أطفال؟! لماذا الفقراء في كل مكان من الغني إذا تقربت منهم ورأيت شخصاً يجلس في سيارة، الطفل لا يستطيع الوصول إلى نافذتها، والسائق يجعل الهاتف نحو الطفل وابتسم ويضحك بسخرية وكوميديا، ويرتدي نظارة وسيارته سوداء كقلبه، انقلب الضوء إلى الأخضر وجعل السرعة أعلى شيئاً وطار الهواء الذي خلف سيارته وتطاير شعر الطفل

وأحلامه ورزقه الذي يعتمد على هذا الرجل، ربما هذا الرجل  
كانت ظروفه جيدة ولا ذنب له بما يحدث، لكن يجب أن  
يجعل احتراماً لألم ورزق غيره.

ما أبشع هذا العالم! الحمقى في كل مكان

أين سنرى بقاع الأمان والخير؟!

الدنيا مليئة بالوحوش الذين يرتدون رداء الأبرياء

لا يوجد قانون يعاقب الألم النفسي؟!

مشاعر وأرواح الأشخاص أهون شيئاً

أثمن شيئاً في هذه الدنيا الأحذية والجمادات!

لماذا نقدر الرديء؟!

لماذا لا نحقق أحلامنا؟!

لماذا تُدفن طفولتنا؟!

ماذا سوف نصبح حينما نكبر؟!

أليست الجثث يجب أن تدفن، لماذا أراها تسير؟!

لماذا لا نرحل؟!؟

لماذا نرحل؟!؟

لماذا يحدث هذا كله؟!؟

لماذا أصبحت هنا وحدي ما الذي حدث؟!؟

لماذا لا يوجد شيء يقلب قدري؟!؟

لماذا نسير على أرصفة الشوارع؟!؟

لماذا لا نخلق بين الغيوم ونختبأ بها؟!؟ حتى الشمس حينما

تضعف تختبئ خلف الغيوم،

لماذا نذهب لأنفسنا بعد كل خيبة؟!؟

لماذا نندم؟!؟

لماذا نحن هنا؟!؟

لماذا لا نغيّر ما يحدث لنا؟!؟

وماذا يحدث لو غيرنا؟!؟

لماذا نحن نشعر بأشياء لا يشعرون بها؟!؟

نقول لماذا حينما تصعب علينا؟!؟

لماذا تحتضن كل تساؤلات التناقض وعديمة الأجوبة أو ربما

الأجوبة الواقعية التي تؤلمنا؟!

لماذا حين نخذل نقولها؟ !

حين نعلم نقولها حين لا نعلم نقولها،

لماذا تدور في رؤوسنا؟! أحياناً لا يوجد جواب لها، وأحياناً

جوابها وجع، فضيلة الصمت تغطي، لماذا أحياناً لا نقول؟

لماذا؟ لأننا نعلم ماذا يوجد ورائها، أتساءل لماذا؟! أمرٌ مرعب

للغاية، أحياناً نقول لماذا ويرتعش نبض الفؤاد بكل أنحاء

جسدي، وأهرب مسرعاً تحت وسادتي أضع رأسي خوفاً من

الأقدار وأجوبة لماذا، أن قلت لماذا كن شجاعاً لإجابتها، إذن

لماذا؟!

وصلت إلى محل أسواق كبير جداً، أخذت بعض احتياجاتي

وقابلت شخصاً ذا معرفة سطحية، قبلنا بعض كان السلام بيننا

ودياً.



سألني:

- هل تخرجت؟

قلت له:

- كلا .

قال بنبرة استهزاء:

- جيد، أنت لا تمتلك السلاح، الحلم يحتاج محاربة ليس

المعارك، أنت لست مع فلان هو دكتور جيد.

قلت:

- السعادة له .

- أقول لك يا هشام أتعلم أن الدكتور يوجين فقد عقله حينما

توفت حبيبته؟

- لا أعلم شيئاً .

- كم طفل أصبح لديك؟

- لم أسلك سكة الكبار... لم أتزوج .

- أووه يا هشام! ماذا بك؟ أنت مجنون! أنت لست شخصاً صغيراً، على ما أظن أنك لم تعد تحمل لحماً ماذا تفعل؟
- أنت تمتلك وقتاً جيداً لتضيعه معي؟ ماذا سوف يتغير في حياتك إذا كنت متزوجاً أم لا؟ إن كنت سعيداً أم حزيناً سوف تستعير مني سعادة؟ أم أعطيك من حزني شيئاً؟
- كلا...

- إذن شكراً على سؤالك عني .

لماذا لا يكتفون بكلمة بخير والحمد لله؟! هو ليس بقريبٍ مني، فإني أؤمن بأن الدرجة الأولى من صلة الدم هم فقط من يحق لهم أن يعلموا بماذا نشعر، الشفقة وحب الاستطلاع وأحاديث أخبار العالم لا تعنيهم، أنا كل يوم في الليل وحدي من أحمل ألمي، لا أحد يحق له أن يشاركني ولا يحق لي أن أضع شيئاً من سلبيتي وحزني لأحد، الدنيا بالنسبة لي فارغة

## سجين لظي

وحياتي فارغة، إن الأشخاص خارج حياتي وخارج منزلي لا يعلمون ما يحدث لي وما أكون عليه.

رأيت طفلاً وعاقاً ومظلوماً ومسكيناً، وأنا في طريق العودة

قال لي رجلٌ كبير:

- يا ولدي، لقد وقع من جيبك مفتاحاً .

قلت له:

- شكراً جزيلاً، وضعت يديّ وسقط سهواً دون انتباهي .

قال:

- سرقت عينيك فكرة أم ذكرى؟

- واقعٌ سرقني كلي يا عم .

- اجلس كي نتحدث إذ لم تكن مشغولاً... أعلم أنك لا تحب

التكلم، لكنني أريد التحدث معك .

قلت له بنتهيدة:

- لماذا؟

قال:

- تساؤلات لماذا يجب أن تحدث، أم شريط حياتنا يجب أن تمر فيه لماذا، وكل لماذا لها عدة إجابات وأسباب وكلها منطقية، كل شخص هو على حق في فعله، لكن لا يتطابق دستوري مع دستور الآخرين ومع حريرتهم في الفرح الحزن أو يفعل ما يجعله سعيداً، إن كانت لا تطابق أفكارهم أفعالهم، فأنت ليس سعيداً معهم، غادرهم ستجد من يشبهك.

قلت له:

- الظالم؟

قال:

- على حق في مخيلته ويرى حاله مظلوماً .

قلت له:

- لم أفهم، إن فلسفتك كبيرة عليّ جداً .

قال:

- ليست فلسفة، أنا رأيت كل شيء بوضوح ودون تشويش.

قلت له:

- كم عمرك؟
- ستون سنة، رأيت في كل يوم حكايات كثيرة .
- منحك الله الصحة، وأطال عمرك، وأطاب أيامك .
- ما اسمك؟
- هشام.
- يا هشام، أخذت من اسمك النصيب؟ الكرم والنبل؟

أجبت :

- بعض الشيء

قال:

- إذن جيد، أنت جيد مع ذاتك؟ أعطاك الله روحاً في أعناقك
- أمانة، هل أنت محافظ عليها جيداً؟

أجبتة :

- كلا، العذاب راحتي.

قال:

- ألم تخجل أن الله يكرمك وأنت لا تشكره؟ وأنت لا تعد نعمك؟ وأنت لا تنظر لما يحييك من إيجابية وأنت... وأنت... وأنت!...

قلت له:

- كلامك صواب، لكن أنا أؤمن بالحریات وقيودي فيها حريتي .

قال:

- كأنك ولدي، لديه جملة مشهورة: "أنا لست سيد نفسي، أنا هائم بحبها."

قلت له:

- من هي يا عم؟

قال:

- زوجته التي جعلته يسكن مدينة بعيدة، تظن أن مديتنا ريف وقرى لا تناسب فستانها الأحمر، هو يترك أوضاع البلاد

## سجين لظى

والانتقادات وينشغل بحافة أظافرها أتليق مع الفستان! تأتي عندنا لكي يرانا ولدي، تسمح له الحمد لله على عطفها وكرمها لعدة ساعات بعد غياب عدة أشهر! تأتي في هذه الساعات القليلة تضع قصة لا صحة لها وخالية من الصدق عن أخته ويقوم بضربها وشمها وتجعله يتشاجر مع أخيه، وحينما أقول له لماذا يقول لي أهيم عشقاً بها ولا أصدق غيرها ما غايتها من الكذب، أقول له لا تأتي معك، يقول هي مني وكرامتها من كرامتي، وأنا يا هشام أشتاق له .

كل شيء تغيير يا ولدي أنتم جيل أكثر وعياً وأكثر نضجاً ولديكم أحزانكم التي تخبئونها عنا، لكن في عام 1978م تدهور الاقتصاد العراقي خلال الحرب، وأصبحت البلاد تعتمد على التبرعات الأجنبية لتمويل جهودهم الحربية، ولكن الوضع الأمني جيد والوضع النفسي مستقر جداً، كانت تضع لنا والديتي رحمها الله وغفر لها صحنًا واحدًا من الطعام ، نجلس ونضحك بأعلى صوت جميعا ضحكة واحدة، ويأتي والدي نستقبله

بالأحضان وتستقبله أُمي بأروع ابتسامة، كان الحب والحنان يحفنا، كان أبي متابعًا جيدًا لكرة القدم وقد فرح بفوز المنتخب الأرجنتيني على المنتخب الهولندي بنتيجة ثلاثة أهداف، وهنا نحن نقفز فرحًا على فرحة والدي، أما الآن عجلة التطور تسارعت في وقتنا وأصبح كل شخص يأكل وحده من مطعمه الخاص، ويجلس على هاتفه يبتسم سرقة، يأتي الأب محملاً بالألعاب والأطعمة لا أحد يستقبله يلقي السلام يرده البعض والآخر يصمت منشغلًا بلهو الهاتف الذكي، آه يا زمن كم تغيرنا! هذا وهنُّ الأجيال أصبحت جميع المنازل كأنها بيوت عنكبوت.

قلت له:

- أين الشبه بيني وبينه؟

قال:



## سجين لظى

- دستوركم إنكم تحت قيود معينة تجدون حرياتكم، لماذا لا تجعلون في حرياتكم بعض القيود؟ أنتم في قفص والأبواب مفتوحة ولن تهربوا .

قلت له:

- لم أظلم نفسي .

قال:

- واضح أن عينيك متعبة.

- لم أنم الليل .

- يا هشام، أنت كبير، كن رجلاً صاحبياً، إن اليوم الذي يغادر لن يعود وقته... وأعلم أن كلامي يسبب لك الإزعاج، لكنك ستدرك قيمة هذا الوقت بعد فوات الأوان، وهناك محطة الندم أكثر محطات الدنيا فشلاً، تكون فيها الخسائر محاطة، وتواجه فيها المصاعب، ولا يوجد فيها منفذ للهروب نحو النجاة أي قشة لا توجد.

وأثناء حوارنا بآفاق عدة، بعضها جميلة وبعضها مؤلمة  
وبعضها لا أريد سماعها، الجامع القريب من السوق نادى الله  
أكبر الله أكبر حي على الصلاة... حان موعد آذان الظهر قال:

- تأتني نصلي؟

قلت له:

- هذا اختبار.

- كلا، هذا واجب، لا يهمني أن كنت تصلي أم لا، ولكنني  
أحببت مرافقتك.

تبسمت وقلت له:

- أنت كل كلمة تقولها حكمة، يجب أن آخذها وأسير بها في  
حياتي.

سارت خطواتنا نحو الجامع، وجدت شخصين وأنا والعم  
والإمام فقط، أنهينا الصلاة، قلت له:

- يا عم أين الناس؟

قال :

- هذا العدد فقط، إن الأشخاص منشغلون.

- بأمور الدنيا وهي فانية!

- نعم يا ولدي، إن الآخرة أخطرهمهم.

تشكرت منه على وقته ومعلوماته، وعدت إلى القرب من المنزل، وجدت الشرطة تملأ الشارع وامرأة تصرخ بأعلى صوتها وتضرب بيدها على وجهها وجسدها بقوة وتردد حسبي الله ونعم الوكيل على من ظلمك ...

رحل الجميع وأنا أقف أنظر ما بها يا ترى أليس نحن في بلدٍ

عادل!

قلت لها:

- ما بكِ؟ تحتاجين مساعدة؟

قالت:

- أنت مثلهم، اذهب من أمامي.

قلت لها:

- أنتِ تستحقين ما أصابكِ، ما هذا الأسلوب؟

قالت:

- أستحق! اللعنة عليك، لماذا تحكّم على الآخرين؟ أتيت

تساعدني بماذا؟

قلت لها:

- وأنا من أين أعلم ما بكِ لأساعدكِ فيه؟ لكن الذي أعلمه

إنكِ في حالة غضب، والذي يغضب يقول كلاماً يندم عليه،

اهدئي أرجوكِ سوف يحصل شيء لكِ .

قالت ودوعها تنهمر بسرعة وبحرقة وتتنفس بألم وسرعة وتمزق

بيدها وجهها وجسدها، أف لا يحق لي أن أمسكها كي تعطف

على نفسها قليلاً ...

قالت:

- زوجي، آه يا حزني!

- ما به؟

## سجين لظى

- لقد صرعتني بسؤالك، ربما أنت شخصٌ جيد، لكنني في لحظات حزينة أعلن وفاتي، حينما رحل فؤادي وحمل نعشي من قصري إلى مقبرة الأحزان، أوراقنا بيضاء وزوجي موظف بسيط قدم أعمال جيدة في وظيفته، وقام باتهامه بتهم باطلة بسبب غيرته منه والآن تم سجنه، ولا يوجد لي أحدٌ غيره، قُتل حارس المبنى وجعل التهمة برأس زوجي وسوف يعدم، لدينا في البيت خمسة أطفال، وأنا أشهد والله يعلم أن زوجي كان في إجازة معنا؛ لأنه حصل على مال وأحب أن يجعلنا في رفاهية، آه يا ظلم هذه الحياة !

حتى أغمي عليها واتصلنا بسيارة الإسعاف، ذهبت معهم والطريف في الأمر إنني أحمل أكياس الطعام؛ لأنني لم أعد أريد الذهاب مرة أخرى ومواجهه العالم، ذهبنا وأصبحت بحالة أفضل، وقالت:

- سأضع محامياً وأعلم جيداً إنه لا ينفع، وأن ذلك الموظف أصبح حراً يسافر ويستلم الجوائز! يا الله أعني على تربية الأولاد.

شكرتني وعدت وأنا أسير بممرات المشفى، رأيت مريضاً لا يوجد شعر في رأسه ويحمل ألمه وخيبته ويقف حاملاً بيديه قنينة الأوكسجين الاصطناعي .

تنفسه في أموال، تخيلوا ألمه وهو ينتظر موعد موته ويقف أمام غرفة غسيل الكلى وصراخ صديقه وقلبه يتقطع وعيناه تتراقص، كأنه سارقٌ وهو يراقب خروج روح صديقه المقرب بألم، وينادي:

- رفيق عمري محطة اطمئنانني .

بيكي ويتنفس بسرعة فائقة ووجهه كأنه ليمون، وشفته بيضاء ويرتدي زي المرضى الأزرق.

## سجين لظى

أكملت السير واستوقفني مشهدٌ مرعب، توفيت امرأة أثناء ولادتها، خرجت الممرضة تحمل الطفلة، قال لها الزوج:  
- قولي إن الطفلة ماتت مع والدتها، أريد الزواج من حبيبتني دون عائق .

قالت له بدهشة:

- وأين أذهب بهذه الروح البريئة؟  
أخرج من يده مبلغاً ووضعها في جيب صدريتها التي ترتديها، فابتسمت وقالت له:  
- العمر لك .

قال لها:

- لم أختها، لكن هواء العشق وهيامي بحبيبتني يستحق التضحية.

هنا وقفت وسقطت الأكياس من يدي... التضحية في الأرواح! الهيام خيانة دون سبب، الزواج لمرّة ثانية تسلية؟ إن ما يحدث شيئاً لا يستطيع العقل البشري أن يحمله، أليست مشاعر الأب

جميلة؟ أين ستذهب هذه الطفلة باي دار؟! دون حنان دون حب، أي حرمان سيحصل لها؟! إن أصبحت فتاة سيئة على من يقع اللوم؟! إن أصبحت فتاة جيدة على من يقع الفخر؟! آه... يا للهول! أهكذا أصبح الهيام؟! إن الدنيا فيها شيء لا يصدق، الأناية تسري أمام ناظرنا، وأن حب الذات لا يفهمه أحد.

حتى جاء عامل النظافة قال لي:

- يا هذا، ماذا فعلت!

قمت بجمع الطماطم والطحين وضعتها في الأكياس، ثم رحلت مسرعاً لا أريد أي موقف يجعلني أجن، إن نعمة العافية لا تقدر بثمن ونعمة الضمير نجدها بقلّة، حاولت أن أسرع دون أن أرى بما يحدث حولي، أريد أن تسرع بي الأرض قرب المنزل، حتى بدأت أقرب جداً من المنزل، قال لي شخصٌ:

- أنت من هذه المنطقة؟

- نعم .



## سجين لظى

- إن الفهم مسألة طبيعية، ولكن مسألة الشعور أمرٌ صعب، أنت غريب، ولي الحق أن أروي لك ما بي؛ لأنني سأنفجر بما أحمل من انهيارات بداخلي، لا يغرك ثباتي؛ أنا شخص متبلد المشاعر، لكنني أحب أهلي .

- ما أمرك؟

- أبي يقول لي أنت شخصٌ غير متزن، وما أرتديه من ملابس أخي؛ فإن أمي وأبي يميزون أخي عليّ، وأنا قلق، غداً لديّ مهرجان وأنا مرتبك؛ لأن ما قاله والدي ووالدتي أمراً حقيقياً، وسوف أجعل جامعتي بموقفٍ لا يليق بهم، أف...  
جلست معه وقلت له :

- أنت تجيد إلقاء الكلمة وقرأتها جيداً؟

- نعم .

- ملابسك جميلة، وصوتك جميل، اكسر جهودك وستكون بأبهى إطلالة.

إن ما يتم بناءه من داخل جدار المنزل لا يهدمه الآخرون، كونوا حذرين في العدالة والبناء، كلمة تصنع إنساناً وهي نفسها تهدم إنساناً .

سرت وتركته يصارع إيجابيات وسلبيات ما به، تركته في بناء ذاته من جديد، وكان شخصاً كبير الحجم صغير الفكر، ثقته بنفسه غير متزنة، أي كلام بإمكانه أن يدفعه للخلف مرة أخرى . بدأت السماء ترعد وتمطر، إن للسماء الحق في البكاء على الأرض وما فيها... حتى رأيت شخصين يرقصان تحت المطر، وبعدها جلسا يبكيان ما حدث خلف هذا الشجرة، ما هذا الجنون! أصابني الفضول وتقدمت نحوهم قلت:

- سلام...

فاذ بالفتاة تختبي، قلت له:

- ما بها؟

قال:

- هذه فتاة لا أعرفها، من أنت؟ ماذا تريد؟

ويمسك يداً بيد، قلت له:

- اهدأ، أنا لا أعرفكم، ولكن أنتم أشخاص غريب ما فعلتموه

ترقصون ثم تبكون!

قال:

- اجلس...

ثم نادى الفتاة:

- اخرجي يا حبيبتني.

خرجت وهي تضع يدها على فمها وترتعش مرتبكة وخائفة،

جلست بجانبه أو خلفه.

قلت لهم:

- ما أمركم؟ ان هذا البلد بلد الأمان وأنتم خائفون فيه!

قالت:

- هذا الشخص محور حياتي، وحب قديم استمر معي منذ أن

رأيت الحياة بنيت حياتي على حبه، كان حنوناً جداً...

ولكن هو ضحك ضحكة هستيرية ونادى بأعلى صوت:

- يا معشوقتي، يا من صوتها موسيقى لي.

قلت لها:

- ماذا حدث؟

قالت:

- تزوج كي يجعل والدته ترضى عنه من ابنة عمه الذي عندهم خير؛ كي لا يذهب للغير، فكانت قصة حبنا المجهولة مدفونة تحت عادات وتقاليد، وكنت أظن أنه رجل شرقي ينساني وينسى حبي وشوقي وجنون عشقي وطلسمي في رثائه، وسيكون سعيداً مع زوجته، هو رجل لا يُجبر، ولكن بعد زواجه أصبح يحبني أكثر ولم يقم بخيانتني بفؤاده أبداً، كانت ذاكرته تحمل عيني وقلبه ينبض من أجلي، لا شيء فوق الهوى كيف سيكون لي! كان يريد الدنيا، وإن ما وضعه له أهله إطاراً جيداً وفيه خير، لكنها كانت بين الحين والآخر تأتي تشتمني وتقل لي كفاه حباً

## سجين لظى

لكِ اخرجي منه. بدأت أخرج معه، وأنا أيضاً في محيط عائلتي  
أشخاص لا يؤمنون بالحب، وأن الروح إذا عشقت تعذبت، أنا  
منذ الطفولة أراه حلمي، وهدفي أن أكون معه، كنا ندرس في  
الجامعة معاً في الأحلام معاً، في الليالي المرعبة معاً، في  
الخوف كان لي أماناً، وفي القلق اطمئناناً، في الوجد نتألم معاً،  
في الفرح نضحك معاً وفي الحزن نبكي معاً، أصبحنا سنداً  
حقيقاً، عكازة حديدية لبعضنا.

ما يحدث في الدنيا ويعلمنا يجعله هيناً وسهلاً علينا، كنا نعشق  
عيون بعض ونتقابل في أفكارنا، على الرغم من أنه أطول مني،  
لكني أستطيع أن أكون أمّاً ثانية له؛ فهو طفلي الكبير تقسو الدنيا  
علينا فيهنونها بصوته يدندن لي بعض أغاني كاظم، ويكون قيسي  
دوماً، حينما تزوج أنا تخلّيت عنه؛ سُلّبت فرحتي مني، يعود إلى  
هذه الشجرة وأنا أيضاً دفنت أحلامنا فيها، نشتاقت ونأتى إلى هنا  
رأيته حينما يأتي ليس بصحة جيدة، بدأ يأخذ كريستال،  
غضبت منه، قلت له إن أخذت هذه سوف تموت بسرعة وأنا من

سيكون لي بعدك! أين ألجأ بروحي؟! أنا أفر مني إليك، قال حقاً  
لا توجد طريقة أفعلها كي أنسى ما يحدث لي، تهب نيران  
الشوق إليك أين أفر من روحي ومشاعري؟! أتقطع أمام نفسي،  
أريد شيئاً صغيراً منك ولا أجد لا أجد سأجن! آخذ كمية قليلة  
ثم أهدأ، أحب أن يؤلمني رأسي وأنسى وجعك، وأبدأ بوجع  
رأسي. قلت له:

- آرام، حبيبي، أرجوك خفف على قلبي ألمه .

قال:

- يا لمي، أنا أحبكِ.

- طيلة هذه السنوات معاً لم تقل أحبكِ، دوماً كنت تفعلها،

كنت أمانني وملجأني محطة حبي ولهفتي، كنت أين ما سرت

أشعر بالفخر؛ لأنك بقلبي كأنك لؤلؤة تميزني عن الآخرين .

قال:

## سجين لظى

- أنتِ حقيقتي، أنتِ عربيتي بين إنجليزية الآخرين، أنتِ الشيء الذي يفهمني، أنتِ مجنونة وهادئة سخرية البشر لا توجد فيها، إنها محبوبتي البيضاء نالت أرام من داخل روحه. بدأت آخذ الكريستال بنسب كبيرة، بدأت أجن بحبها، ومازال إصرار أهلي أن لا أتزوج امرأة ثانية، العذاب الذي يسكنني لا يلمس شيئاً غيري، وهي خائفة؛ ظنت إنك رجلٌ مبعوث من قبل زوجتي أو من أصحاب أهلها.

- هههههه، كلا... كلا يا أرام ويا لمي، أنا شخصٌ مار وعابر، منزلي قريب من هذه الشجرة، لكن حقًا لا أعلم أن خلفها حكاية مؤلمة وحبًا يُقدس مع جذورها ويكبر ويمتد معها .  
قالوا:

- سنكون معًا حتى الموت، ليس حبًا يعرقله ما تسمى صعوبات أو عادات وتقاليد وظروف، إن المحب إذا لمس فؤاده شوقٌ، مرّ في العتمة الأبدية وانطفأت روحه ولا ضياء فيه

إلا وجه من يحب، نحن مازلنا في الحياة إذن لا يوجد موت يمنع لقائنا، وأنت صديقٌ وشاهد على هذا الحب من الآن.

- تشرفت بكم حقاً، ولكن النعاس غلبني، عليّ أن أذهب فالشمس بدأت تأخذ خيوطها الذهبية وترحل وندخل بعالم الليل.

عدت وأنا متعب مما حصل في الخارج، عدت ولم أستطع أن آكل شيئاً، ولن أستطيع أن أنام؛ هرب النوم مني هذه المرة، حتى كنت أجمع شتاتي كي يحلّ الصباح، ذهبت بين تارة وأخرى أغمضت عينيّ وإذ المساء بدأ يحل، رنّ هاتفي أجبت كان المتصل رجل صوته غريب يقول:

- أنت هشام ولدي الأحب...

قلت له:

- جملة أبي الشهيرة! من أنت؟

قال:



## سجين لظى

- أنا صاحب المنزل الذي استأجره والدك مني، ولكنهم توفوا بحادث سير منذ أسبوع، وتمت مراسم الدفن، ولكن اليوم وجدت هذا الرقم فيه هذه الجملة.

- كيف؟ أين المكان؟ أرجوك تعال في المنطقة خذها وارسل لي العنوان.

خرجت مسرعاً ولا أرى شيئاً غير السواد، الدنيا صغيرة والعتمة كبيرة، أهلي... أنا حقاً وحيد، دخلت والرجل أخذني إلى المقبرة، رأيت فيها قبورهم بكيت بكاء الروح التي تتقطع، من أنا دونكم! حبيبتي أمي استيقظي، أبي أرجوك أنت سندي الثابت، أخي، أختي لا، لا!...

قام الرجل بوضع يده على كتفي، وقال:

- البقاء لله وحده، قم يا ولدي.

عدت إلى المنزل أحمل خيبتني وألمي، صدمة لا يمكنني الخروج منها، أنا لا أحب الخروج في بشاعة النهار، أن

الأحداث في النهار مرعبة، الأشخاص سيئون الأحداث تؤدي  
إلى الظلم والحرمان، لو أنهم لم يخرجوا! يارب أعني ...  
حاولت النوم، لكنني لم أستطع أن أتحمل، أين أهرب؟! أود  
الهروب مني، أريد باب الخروج، لا يوجد مسكن يسكن ألم  
روحي المتعبة، خرجت مسرعاً إلى الشجرة خلفها الحل الأنسب  
إليّ ...

- أرام كيف حالك؟

قال:

- لمى لم تأتِ اليوم .

قلت له:

لماذا؟

- أنا تركت المنزل منذ الصباح، أقود نفسي واستأذنت من

مدير عملي، لكنها لم تأتِ، وتواصلنا منقطع لكثرة أعبائنا،

لكن تواصلنا الروحي موجود .

قلت له:

- آرام، من الجيد أن لمى لم تأتِ إلى الآن، أريد كريستال .
  - كلا، إنه مؤذٍ جداً يا هشام.
  - أرجوك، خذ هذا المبلغ، عد به إلى المنزل وأعطني.
- أعطاني وإذ بلمى أمت، ألقيت عليهم السلام وسمعت ما كانت ترويه لمتى:

- يا آرام، ليلة أمس مليئة بالحزن، والدموع فيها كثيرة
- أرام:

- لماذا يا حبيبتي؟

كان ينطق هذه الكلمة بكثرة يعبر فيها عن مشاعره

لمى:

- ألم أقل لك إن زوجة أخي الشهيد تزوجت رجلاً توفيت
- زوجته للتو؟ فهو حزين على زوجته؛ لأنها كانت حب حياته، أم
- زوجته تبكي بحرقة على ابنتها، زوجة أخي تبكي بدموع الفرح
- الحرينة؛ لأنها ستفارق طفلها، أمي تبكي بصراخ؛ لأن هذه

الفتاة كانت زوجةً لأخي، أدركت يا أرام أن لحظات الفرح  
غطاءً خفيف جداً تحت كثير من الأحزان والدموع وألقوا  
الحب على بعض.

ثم قالت لي لمى:

- هذه الكمية ستضر جسدك يا هشام، كن رؤوفاً بعض الشيء  
بجسدك البالي، كن منصفاً معه، المشاعر دعسها الواقع  
وجسدك دعسه الكريستال .

قلت:

- لا، هو ما يجعلني نشيطاً .

قالت:

- كلا، لن تكون بخير في الأيام القادمة.

قلت لها:

- سأموت بصحة غير جيدة .

ضحك أرام وقال :

- أنت على حق وصولي دوماً.

قلت لها:

- ماذا تريدین؟

قالت:

- أن لا تأخذ هذا السم كله، أنت شخصٌ ذكي، وإذا بدأت  
تصحو من الفجر تتجدد طاقتك وتتغير حيويتك، تتجه نحو  
الصلاة وتلتزم الرياضة وتعطي للحياة فرصةً أخرى، تجرب  
مواهب ومهارات وتعود إلى عملك وتتزوج وتبدأ ببناء أحلامك  
وأحلام زوجتك وأطفالك، هذا أمرٌ اعتيادي أن تعطي حزنك  
فترة وثم بعدها تقوم وتعيد نشاط الحياة .

قلت لها:

- لوّنتِ لوحة حياتي بالألوان الزاهية، لكن وفقاً لكلامك  
يجب أن أستيقظ في النهار ...

هنا بدأت أنهار، كانت الموسيقى عالية وكأنها طبولٌ في رأسي،

قلت لها:

- اششششششش، هذه الخرافات لا أو من بها .

وعدت إلى المنزل، أخذت نسبة كبيرة من الكريستال أمام مرارة  
الفراق، مرارة الكريستال كأنه قصب سكر بالنسبة لي لم أشعر  
بمرارته؛ لأن ألمي كان حنظلاً أشد مرارة منه، أكون أكثر نشاطاً  
وأحب الحديث معي، وأن دستوري لا أخرج وأرى السفهاء في  
كل مكان، يتحولون إلى أمرٍ مثير للحنن، إن دستوري أن أمتد  
بالسهر وأجلس مع حزني نتقاسم الراحة معها، نبكي نرقص على  
أي حال، نرتدي الاطمئنان في الوحدة بعيداً عن كل شيء، إن  
السلام يبدأ من اللون الأسود، وحش الليل أكثر لطفاً من  
وحوش النهار الذين يرتدون قناع البشر وهم هيئة أجسادهم  
مليئة بالأشعة الحادة للعلم والوجع.

أنا شخصٌ جيد مع هذا العطاء من السم، السم الجسدي  
أفضل من السم النفسي، وفي كل ليلة أقول غداً سيشرق قمري،

## سجين لظى

كل شيء فضي جميل، إن كان دمعاً فضياً أم كريستال فضياً أم  
قمرًا انعكاسه علينا فضياً.

أصبحت ثملاً بوجعي، وكنت دوماً أرى باب سجني مفتوحاً،  
ولكن لا أود أن أهرب أو يُطلق سراحي؛ فأنا متيم بسجن حزني،  
وعتبه الألم والشجن مقدسة جداً وأعشق قضبان سجني.

حتى بلغ الألم مرحلة لا يُشفى بمسكنات الكريستال. جاءت  
الشمس وبدأت المعاناة، هذه المرة لن أسمح لنفسي أن تستمر  
مع الحياة، سأترك لكم بضعاً مني وسأغادر هذه الورقة، تركت  
لكم فيها ما كنت عليه وما عشته، نقلت لكم كل شيء إلا  
مشاعري لم أستطع وصف ألمي ووجعي، حرمانني وخذلاني،  
وحدتي ودموعي، كل ليلة كنت أبكي إلى حد التنهيدة الأخيرة  
للنوم، أستيقظ متعباً جداً وربما أبكي في الحلم وأستيقظ،  
دموعي على خدي، والبكاء لا يُطفئ نيران الفؤاد. هذه الليلة  
لم يستطع الكريستال أن يمنع أي نشاط سوى نشاط ذاكرتي،  
أريد أمني ربما هذه الدنيا الفارغة والوحدة التي قتلتني حياً

والموت البعيد لا يستطيع أحد أن يعيد لي حنان أمي، لا أتذكر صوتها، يا إلهي سأجن، كيف كانت نبرتها؟! اشتقت إليك أنا قادم يا أمي... أنا إذا مت من سيفتقدني؟ كم يوم وسأدفن تحت الثرى، هوية الانتماء للأوطان روتين سخي، يقومون بإجراءات لا صحة لها أثناء عيشنا أو وفاتنا، مفهوم الانتماء خطأ، مفهوم الوطن كله خطأ، ربما سيفتقدني جاري؟ كلا، فهم منذ أشهر لا يعلمون شيئاً عني، ربما... ربما في الحقيقة لا أحد، إذن لا أبالي، سوف أغادر وأكون بالقرب من أمي وراحة لي من هذا العذاب المستمر الذي لا منجى منه، لا مهرب منه! دخول الدنيا من الباب الرئيسي نلهو في متاهاتها ثم ماذا؟ ثم نذهب نحن نحو الموت! أي عذاب يسكنني كي أتخلى عن جسدي وأقطع روحي! في الحقيقة كانت نبرة صوت لَمِي كأنها سيمفونية ملاكي، وكانت تهمس بهدوء تجعل نفسك أفضل، لا تتخل عن حياتك وطموحك، كانت تجمع السعادة وتسكبها في



## سجين لظى

شراييني، عدت بهذه الكلمات نحو ماضٍ جميل، ماضٍ ممتلئ  
بلهفة العشق ولحظات الانتظار ومشاعر لن تمنح مع غيرها،  
عدم حصولي عليها إدراكي للنهاية المكابرة على ذاتي، هنالك  
أشياء راهنت على اتزان اللغة العربية كالفعل مرفوع، وفي  
الأوطان الاعلام مرفوعة وحبها عندي مرفوع وثابت ومرتز،  
نهايتها ختمت وداخلي يمدّها بالحب ولعنات الشوق الجحيم  
هنا بداخلي، كيف سأنقذ نفسي من شوقي لها؟! بعد فراقها لم  
يعد يغريني الياسمين ولا شروق الشمس ولا غروبها ولا  
انعكاس القمر ولا الغيوم ولا حتى القهوة ولا الشوارع الطويلة  
ولا الأمطار ولا حتى عينيها... وضعت الآن حبلاً صغيراً في  
المروحة وسأغادر روايتي، وعذراً أيها القارئ، كنت أتمنى أنك  
لا تقرأ نهايتي المأساوية، لكن سيكون جسدي براحة ومشاعري  
باستقرار وهدوء، وحياتي انتهت أغلقت ملفي بيدي، خطأ ما  
أفعله، لكنه صوابٌ لي جداً أنقذ مالم يتبقّ مني، وهو لم يتبقّ  
شيء، لم أعد ادخل نفسي في دوامه الذنب والملامة، موت

المشاعر فيه رجوع، أشد لعنة تصيب المرء ذاكرته حديدية،  
ولكن موت الروح لا رجوع فيه، لا أحب الموت لكني لا أريد  
الحياة، أن ما يستند عليه المرء في الحياة هو أنك تظلم وتسرق  
وتستمتع، سأترك لكم هذه التفاهة، بعد المعاناة موت، إلى هنا  
أنهيت مشاعري من الألم والعذاب المتنوعة الذي ذقته إلى  
الوداع الأبدي...

مَشَتْ